الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2022/2021

قسم العلوم الإنسانية المستوى: أولى جذع مشترك علوم إنسانية

المقياس: مدخل إلى الفلسفة الأستاذ: عبد الله زين (أ/ محاضر.ب)

المحاضرة 04: الفلسفة مباحثها وقضاياها / الوجود (الأنطولوجيا)

أولا: ماهية الأنطولوجيا (Ontologie)

***تمهيد:**

سبق وأن تطرقنا في محاضرة سابقة إلى مجال الفلسفة أو موضوعها، وأوضحنا أنه يشمل ثلاثة مباحث، منها: مبحث الوجود أو الأنطولوجيا، فما المقصود بهذا المصطلح ؟ وماذا تتناول الأنطولوجيا ؟

علم الوجود أو الأنطولوجيا قسم من الفلسفة، يبحث في الموجود في ذاته مستقلا عن أحواله وظواهره، أو هو علم الموجود من حيث هو موجود (أرسطو) . يقول " دالامبير":« إن للكائنات - روحانية كانت أو مادية - بعض الخصائص العامة، كالوجود، والإمكان، والديمومة، فإذا جعلت بحثك مقصورا على هذه الخصائص، ألّفت الأصل الفلسفي الذي تستمد منه جميع الفروع الفلسفية مبادئها، ويسمى هذا الأصل بالأنطولوجيا، أو بعلم الوجود » .

إن الأنطولوجيا هي البحث في الدافع النهائي الذي يقف وراء الظواهر الحية، أو هي البحث في العلل الأولى أو البعيدة للوجود، بعكس العلوم الجزئية التي تدرس الوجودات الحسية والعلل الجزئية أو القريبة . نستطيع أن نميّز موضوع الأنطولوجيا عن موضوعات العلوم الأخرى، على أساس كلية وعمومية موضوع الأنطولوجيا، وخصوصية وجزئية موضوعات العلوم الأخرى، فالفلاسفة الطبيعيون عند الإغريق تساءلوا عن أصل الوجود واختلفوا حول ذلك، فمنهم من قال أصله الماء، ومنهم من قال أصله التراب، ومن قال أصله النار، ومن قال أصله الهواء...الخ . أما علم الطبيعة مثلا يدرس الوجود الجزئي المتحرك حركة محسوسة، وعلم النفس ينحصر في دراسة الوجود النفسي، وكذلك الأمر في سائر العلوم .

ثانيا: مذاهب في تفسير الوجود

إذا كانت الأنطولوجيا تبحث في أصل الوجود، فإن الفلاسفة قد اختلفوا حول هذا الأصل؛ بين من قال بأنه واحد، ومن قال بأنه متعدد، لذلك انقسمت مذاهب تفسير الوجود إلى قسمين: مذاهب واحدية ومذاهب ثنائية .

1-المذاهب الواحدية: (المادية - الروحية - الواحدية المحايدة)

هي المذاهب التي تحاول تفسير الوجود، وذلك بواسطة مبدأ واحد، سواء كان هذا المبدأ ماديا أم كان روحيا أم كان محايدا . لذلك تنقسم المذاهب الواحدية إلى ما يلي:

أ-الواحدية المادية:(Materialistic Monism)

وهي مذهب فلسفي فسر أصل الوجود بإرجاعه إلى أصل مادي (عنصر مادي)، ونجد ذلك في الفلسفة اليونانية القديمة، عند الفلاسفة الطبيعيين: مثل " طاليس " الذي ذهب إلى أن جوهر الأشياء أو مبدأها هو الماء، أما " هيرقليطس " الذي قرر أن مبدأ الوجود العام هو النار، التي صدر عنها كل شيء ويتحول إليها، كما تتحول الأشياء بدورها إلى النار وتعود إليها .

أما في العصر الحديث، فهناك من يمثل الواحدية المادية مثل الفيلسوف الإنجليزي " توماس هوبز " الذي أرجع الكون بأسره إلى المادة، واعتبر الكون كله ماديا، له أبعاد في الحجم والمقدار وله طول وعرض وعمق .

ب-الواحدية الروحية: (Spritualistic Monism)

الواحدية الروحية هي المذهب المقابل للواحدية المادية، وهو مذهب فلسفي أرجع الوجود إلى أصل روحي، ويمكن القول بأن أول من قال بمذهب الواحدية الروحية هو " رودلف هورمان لوتز " Lotze (1718-1881 م)، و " إدوارد فون هارتمان " E.F.Hartmann، الذي ذهب إلى أن الوجود يعود إلى الروح اللاداعي الواحد، إلا أن أكبر ممثلي هذا المذهب في المدرسة الألمانية هو الفيلسوف " فشتة " Fichte، صاحب المثالية الذاتية التي ترتكز على الأنا الخالص، ثم فردريك فلهلم شلينج F.W.Shelling، الذي ذهب إلى أن الروح المطلق المنبث في الطبيعة هو أساس العالم والوجود . ثم يأتي فيلسوف ألمانيا الأبرز، وهو " هيجل " Hegel الذي ذهب إلى أن الفكر هو المبدأ الذي يحكم العالم ويصنع التاريخ، وأنه يتصاعد تدريجيا وبواسطة الجدل حتى يصل إلى الروح المطلق، خلال مبديات الفن والدين والفلسفة، كذلك كان أتباع هيجل من أبرز ممثلي الواحدية الروحية، مثل بوزانكيت وبرادلي وكروتشة وغيرهم .

ج-الواحدية المحايدة: Neutral Monism

يرى أنصار هذا الاتجاه أن الوجود يرجع إلى مبدأ واحدي محايد، لا هو مادي ولا هو روحي، بل إن المادة والروح نفسيهما يصدران عن مثل ذلك المبدأ الواحدي المحايد، وتعبّر فلسفة " إسبينوزا " في وحدة الوجود عن هذا الاتجاه خير تعبير؛ فالروح عنده وكذلك المادة ليستا إلا مجرد صفتين من الصفات اللامتناهية، التي تصدر عن المبدأ الواحدي المحايد، الذي يتمثل عنده في " الله " أو " الجوهر الأوحد " . كذلك يمكن اعتبار الفيلسوف الإنجليزي " برترند رسل " ممثلا لهذا الاتجاه؛ وذلك حينما رفض قسمة الإنسان إلى جانبين: الأول عقلي والثاني جسمي، وحين ردّ هذين الجانبين إلى " هيولى محايدة " يتفرع عنها الجانبان معا .

2-مذهب الكثرة أو التعدد: (مذهب الكثرة : الكثرة المادية - الكثرة الروحية)

وهو مذهب فلسفي يرجع الوجود إلى عدد كبير من المبادئ أو العناصر، ويرفض القول بوجود مبدأ واحد في تفسير الوجود، وينقسم هذا المذهب إلى قسمين: مذهب الكثرة المادي، ومذهب الكثرة الروحي .

أ-مذهب الكثرة المادي:

يعتبر هذا المذهب قديما قدم الفكر الفلسفي ذاته، فقد نادى بهذا المذهب " أنباذوقليس " (483-423 ق م)، بأن أصل العالم الماء والهواء والنار والتراب، وأن هذه العناصر تجتمع بفضل قوة المحبة، وتنفك وتنحل بواسطة قوة الكراهية .

ولقد رأى الذريون القدماء: لوقيبوس وديموقريطس، أن الوجود يتكون من أعداد لا متناهية من الذرات المادية غير المحدودة من جهة الكيف، أزلية أبدية يفصل بين بعضها والبعض الآخر العدم أو الخلاء . والذرات المادية هذه تتحرك في الخلاء اللامحدود، وينتج عن اصطدامها سكون الأشياء، وعن انفصالها أثناء حركتها فساد الأجسام أو انحلالها . ولقد انتقل هذا المذهب إلى العالم الإسلامي، وعرفت الذرة باسم الجزء الذي لا يتجزأ، كما كان له أكبر الأثر على كثير من الفلسفات الحديثة والمعاصرة، ويظهر ذلك عند الفيلسوف " فتجنشتين " من خلال نزعته الذرية المنطقية .

ب-مذهب الكثرة الروحي:

يعبّر مذهب " ليبنتز " أصدق تعبير هذا المذهب، فهو يرى أن الوجود يأتلف من ذرات روحية سماها بـ " الموناد " Monads، وأن هذه الموناد لا حصر لها، وهي على طوائف متعددة منها: الموناد الناطقة والموناد الشاعرة والموناد العارية عن الشعور، وكل طائفة منها تتميز بصفات وخواص، كما ذهب إلى أن الله هو " الموناد الأعظم "، الذي حلق العالم والوجود، وهو أيضا القادر على إفنائه أو إبادته . ومن الموناد والموناد الأعظم تقوم -عند ليبنتز- مدينة

النفوس الناطقة، التي تكون علاقتها بالله أو المونـاد الأعظم، علاقة الأب بأبنائه وليست علاقة الصانع أو الخالق فحسب .

ولقد أقام ليبنتز فلسفته في الطبيعة وما بعد الطبيعة، وفي المنطق والمعرفة والسياسة والأخلاق على أساس الارتكاز إلى فكرته المحورية تلك عن المونـاد .

***أنظر: مقدمات في الفلسفة، علي عبد المعطي محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص: 17-25 .**